Archive of SID

مجلة اللغة العربية وآدابها
السنة السادسة، العدد العاشر، ربيع وصيف ١٤٣١هـ/٢٠١٠م
صفحة ١٠٥ – ١٢٥

تجليات التناص الديني في شعر البارودي

صادق فتحي دهكردي[1*]، مجتبى گروسي[2]
١. أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة كردستان
٢. ماجستير في اللغة العربية وآدابها بجامعة كردستان
(تاريخ الاستلام: ٨٨/٣/٣ ؛ تاريخ القبول: ٨٨/٧/١٢)

الملخص

يعتبر محمود سامي البارودي الشاعر الذائع الصيت المصري من رواد التجديد في الشعر العربي الحديث والذي أحيى الشعر العربي بعد ما فقد قوة الإبداع والابتكار في العصرين المملوكي والعثماني، وأعاد إليه جماله وطراوته السابقين. وبما أن الشاعر خضع منذ طفولته لتعاليم دينية وقرآنية وكان يرى أن من واجب الشعر التهذيب الأخلاقي للإنسان والمجتمع لذا حاول في أشعاره أن ينشر بين الناس أصول العقائد وفروعها وكذلك القيم الدينية الأخلاقية والاجتماعية بما فيها الوفاء بالعهد، حفظ السر، الدعاء، التقوى، الزهد، التوبة، الكرم، الشجاعة و... فنراه يستخدم التناص القرآني والروائي كأفضل طريق للوصول إلى هذا الهدف المنشود.
يحاول هذه المقالة أن يعالج بعضا من هذه الأصول والقيم مشيرا إلى التناص المستخدم في الأبيات قرآنيا كان أو روائيا.

الكلمات الرئيسة

البارودي، الشعر، التناص، الدين، القيم.

* كاتب المسؤول: هاتف: ٠٩١٠٢١١٦٩٨٦
Email: fathi.sadeq.d@gmail.com

www.SID.ir

Archive of SID

المقدمة

ولد محمود سامي البارودي في القاهرة سنة ١٨٣٨م في أسرة ذات جاه ومنزلة. توفي أبوه عندما كان في السابعة من عمره فكفلته أمه وتلقي دروسه الأولى في البيت تحت إشرافها، وبعدما انتهى منها التحق بالمدرسة الحربية فتخرج منها عام ١٨٥٤م وهو في السادسة عشرة من عمره فالتفت إلى الشعر نظرا إلى الأوضاع السياسية والاجتماعية السيئة في مصر من جهة وميله الشديد إلى الأدب والشعر من جهة أخرى. ولكنه لم يعجبه الأسلوب الشعري السائد في عصره لأنه كان استمرارا للأسلوب الشعري في العصرين المملوكي والعثماني،فالتفت إلى دواوين الشعراء في العصر العباسي فراقه من التراث شعر الحماسة والفخر، ووصف ميادين القتال وأعمال الأبطال فمالبث أن ازدهر ذوقه الشعري فأحيى الشعر العربي وأرجع إليه نضارته وجماله السابقين وأصبح رائدا للتجديد في الشعر العربي الحديث.

لم يجد البارودي في مصر أرضية ملائمة لنمو ذوقه الشعري فسافر إلى الأستانة وتعلم هناك اللغتين التركية والفارسية واغتنم الفرصة لقراءة أكثر دواوين الشعراء العباسيين التي كانت متوفرة في مكتبات الآستانة (ضيف، ١٩٦١م، صص٦٥-٨٥؛ الدسوقي، ١٩٦٦م، ص٢١٢). عندما سافر إسماعيل سلطان مصر إلى الآستانة لفت البارودي انتباهه فاصطحبه إلى مصر في عودته فانضم إلى الجيش وظل يرقي في المناصب العسكرية حتّى وصل إلى رتبة القائمقام فاللواء ودخل أيضا في مجال النشاطات السياسية والاجتماعية وعندما ظهرت ثورة عرابي باشا ضد الحكومة المصرية انضم الشاعر إلى صفوف الثوار، وبعدما أخفقت الثورة نفي مع زملائه إلى جزيرة "سرنديب" (سريلانكا الحالية) حيث بقي في المنفى ١٧سنة وعاد إلى مصر عام ١٩٠٠م واستقبلته مصر بكل حفاوة وصار بيته ندوة يقصده الأدباء والشعراء فأخذ في تنقيح ديوانه إلى أن لفظ أنفاسه الأخيرة سنة ١٩٠٤م.

شخصيته الدينية والأخلاقية

إن شخصية الشاعر الفكرية الدينية والأخلاقية تكونت في أسرته إذ إنها – ووفقا لسنة قديمة لها – كانت تدعو معلمي القرآن إلى البيت لتربية البارودي وتعليمه فكان لها دور هام في نموه الثقافي وتعرفه على المفاهيم والمضامين القرآنية. وظهر تأثير هذه التعاليم جليا في المراحل المختلفة لحياته وفي اتجاهاته الفكرية والنشاطات السياسية الاجتماعية ولاسيما أشعاره. وعندما كان الشاعر منضما إلى الجيش، يقاتل الأجانب برفقة الثوار وعندما التقى بعلماء كالسيد جمال الدين الأسدآبادي والشيخ محمد عبده، كان يجاريهم لإنقاذ الشعب المصري ومواجهة الثقافة الغربية والقيم اللاإسلامية (عويضة، ١٩٩٤، ص٥٩).

www.SID.ir

Archive of SID

كان البارودي رجلا كريما شجاعا ذا عزم عال وخلق حسن، وكانت أكثر مدائحه فيمن يستحق المدح والثناء و لم يرث أحدا إلا ويحبه كثيرا. وبما أنه اشترك في معارك عنيفة فلذا أجاد في وصف ميادين القتال والحرب.كان البارودي رجلا مؤمنا وبما أن المؤمن يتصل بالله في كل حال ويعتصم بحبل الله المتين فلذا نراه يحاول لنشر التعاليم الإسلامية في المنفى فنشر الدين الإسلامي فيما بين سكان "سرنديب" وعلمهم قراءة العربية وكتابتها وكذلك القرآن وتفهم فحواه ومعانيه، وكان يلقي محاضرات في المساجد لكل من يعتنق الإسلام (م.ن، ص٥٢).

التناص

«يعد التناص من أبرز التقنيات الحديثة التي عني بها أصحاب الشعر العربي، واحتفوا بها بوصفها ضربا من تقاطع النصوص الذي يمنح النص ثراء وغنى ويسهم في النأي به عن حدود المباشرة والخطابة» (جابر، ٢٠٠٧، ص١٠٧٩). إن التناص مصطلح جديد دخل مؤخرا في الدراسات الأدبية وله دلالته النقدية فيها.يعتبر التفاعل والتشارك بين النصوص ركنا رئيسيا للتناص. وهذا يقتضي الحفظ والمعرفة السابقة بالنصوص السابقة لأن النص يتعلق حدوثه بتمثيل النصوص السابقة بنص واحد يجمع بين الحاضر والغائب (محمد فارس سليمان، ٢٠٠٥، ص١٣). فيقتضي استحضار النصوص جليا، ولا يتم النضج الحقيقي للنتاج الأدبي إلا بعد استيعاب الجهود السابقة عليه.

مما لا شك فيه أن التناص يقتضي أن يعود الأديب إلى الوراء ليأخذ من النصوص القديمة ما يلائم نصه وهذا يقتضي الحفظ والفهم والاطلاع على النصوص الأدبية السابقة (م.ن، ص١٤). فلذا تعتبر كل قصيدة – على حد تعبير عبد العزيز حمودة – إعادة كتابة لا الكتابة وبهذا المفهوم يعد كل نص نوعا من التناص (جابر، ٢٠٠٧، ص١٠٨١).

تجليات التناص الديني في شعر البارودي

إن القارئ لشعر البارودي يظهر له بوضوح أن الشاعر بحكم تربيته الدينية والقرآنية يقتبس من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، لإيصال ما يجول في فكره من المعتقدات والأفكار إلى المخاطب في أسلوب ديني يدل على سعة معرفته الدينية وثقافته القرآنية. ولا غرو في ذلك لأنه كان قد خضع لتعاليم دينية والقرآنية منذ طفولته حيث نراه ينشر الدين الإسلامية بين سكان "سرنديب" عندما كان يقضي أيام النفي فيها. فيستطرد الشاعر في أشعاره إلى كثير من العقائد والقيم الإسلامية،من أصول الدين كالتوحيد والنبوة والمعاد إلى الفروع كالصلاة،الجهاد،الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسائر القيم الدينية الأخلاقية الاجتماعيةكالصبر، الوفاء بالعهد، ذم النمام، حفظ السر، التقوى، التوبة،

www.SID.ir

Archive of SID

إخلاص النية، الزهد، عدم الركون للذل، حب الوطن، عدم معاشرة اللئام، إخلاص النية، الاجتناب عن سوء الظن، ملامة شرب الخمر، الابتعاد عن العدو و...، مستلهما من القرآن الكريم والأحاديث النبوية في تبيينه لهذه القيم وطبعا ليس البارودي عالما دينيا أو اجتماعيا أو ملما بعلم النفس حتّى يعلق تعليقا علميا عميقا على القيم التي يتناولها بالبحث بل كان أديبا شاعرا يتطرق إليها مستهدفا لتبيينها في لغة شعرية مستلهما من الآيات والأحاديث مستندا إليها. يحاول هذا المقال أن يتناول بالبحث عددا من هذه القيم والمعتقدات والتناص الديني الموجود في أشعاره.

التوحيد وصفات البارئ

إن التناص القرآني فيما يتعلق بالعقائد الإسلامية في ديوان البارودي يشكل عددا كبيرا من أشعاره حيث نراه يستخدم التناص اللفظي بنوعيه، التناص الجملي وتناص الكلمة المفردة، بينما يستخدم التناص المعنوي أيضا.

من العقائد الإسلامية التي يقوم الدين الحنيف عليها هي وحدانية الله وأن لا يوجد لذاته تعالى شريك في الملك. فنرى الشاعر يتطرق إلى هذه القضية مقتبسا من الآيات الشريفة: ﴿**لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين**﴾ (الأنعام/١٦٣).

وكذلك: ﴿**ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل**﴾ (الأنعام/١٠٢). فنشاهد التناص لهذه الآيات في الأبيات التالية:

لقد تفرد في لاهوت قدرته فما له أبدا في ملكه ثاني

(الديوان، ج٤، ص١٥٢)

ديني الحنيف وربي الله وشهادتي أن ليس إلا هو

(الديوان، ج٢، ص٣٦٠)

ثم يشرع البارودي في ذكر صفات الباري جل جلاله فيستطرد إلى خالقيته التي سببت في أن يخرج العالم من طور العدم إلى الوجود، مبينا أن هذه الخالقية تنشأ من المشيئة الإلهية حيث لم يكن الله مضطرا مجبورا لخلق العالم فيقول الشاعر:

صور تدل على حكيم صانع والله يخلق ما يشاء ويبرأ

(الديوان، ج١، ص٢٦)

وفيه تناص لفظي صريح للآية: ﴿**قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون**﴾ (آل عمران/٤٧) وعندما ننظر إلى هذا البيت وعلاقته بالنص القرآني، نلاحظ أن الشاعر لا يتعدى تصرفه بالنص السابق (أو الغائب) التشكيل اللغوي فالدلالة هي هي والفضاء الديني هو نفسه

www.SID.ir

Archive of SID

ويقول أيضا:

يريـــد كل امرئ منـــاه ويفعـــل الله ما يشـــاء

(الديوان، ج١، ص٢٤)

وفيه تناص لفظي للآية: ﴿**ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء**﴾ (الحج/١٨) وكذلك يقتبس من الآية التالية: ﴿**وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد**﴾ (البروج/١٦-١٤) قائلا:

عسى إلهي يفك أســـري فهو فعـــال لما يريـــد

(الديوان، ج١، ص٢١٦)

ثم يتطرق الشاعر إلى أن هذه الخلقة لم تكن عن عبث ولهو بل كانت فيها حكمة حيث يقول:

ما خلق الله الورى بـــاطلا ليرتعوا بين البوادي ســـدى

(م.ن، ص٢٣٠)

حيث نشاهد تناصين، فمرة تناصا جمليا لهذه الآية: ﴿**ربنا ما خلقت هذا بـــاطلا**﴾ (آل عمـــران/١٩١) وأخرى تناص الكلمة المفردة أي "سدى" للآية: ﴿**أيحسب الإنسان أن يترك سدى**﴾ (القيامة/٣٦) ثم يشـــير إلى أن الله الذي خلق العباد من العدم لم يتركهم لحالهم يتيهون في الضلال بل كلف نفســـه بإرشـــادهم وهدايتهم، فالله هو الهادي الوحيد ومن لا يأخذه هاديا يضل عن صواب الطريق فيقول البارودي:

ولا تلتمس من غير مولاك هاديا إذا الله لم يهد العباد فمن يهدي؟

(الديوان، ج١، ص٢٣٩)

وفيه إشارة لا يخفى إلى الآية: ﴿**ومن يضلل الله فما له من هاد**﴾ (الرعد/٣٣) فلأجل هذا يرى أن الله تعالى كاف للعباد في كل أمر صعبا كان أو سهلا فيحرض الناس على التوكل على الله والتضرع إليه:

مددت كفي إليك مبتهلا وأنت حسبي فلا ترد يدي

(الديوان، ج١، ص٢٥٤)

وفيه تناص معنوي للآية: ﴿**وتوكّل على الله وكفى بالله وكيلا**﴾ (الأحزاب/٣).

فيتطرق الشاعر إلى أن من الواجب على الإنسان أن يختار الله تعالى وحده وليا وحاكما لا غـــير حيث يلزم عليه أن يترك ولاية الشيطان وينضم إلى ولاية الرحمان:

كن واثقـــا في كل محنة فالله أولى بالعبـــاد وأرفق

(الديوان، ج٢، ص١٦٢)

وفيه تناص معنوي للآيات التالية: ﴿**الله ولي الذين آمنوا يخـــرجهم مـــن الظلمـــات إلى النـــور**﴾ (البقرة/٢٥٧) و﴿**والله ولي المؤمنين**﴾ (آل عمران/٦٨).

مما لا شك فيه أن الله جل جلاله أزلي أبدي فكان ويكون دوما فيبقى إلى الأبد فيشير البـــارودي

www.SID.ir

Archive of SID

إلى هذه الميزة الإلهية قائلا:

على هذا يسير الناس طرا ويبقى الله خالق كل نفس

(الديوان، ج٢، ص١٦٢)

وهو ما يحيل إلى هذه الآيات: ﴿**كل من عليها فان ويبقى وجه ربّك ذو الجلال والإكرام**﴾ (الرحمن/١٧-١٦) و﴿**لا إله إلا هوكل شيء هالك إلا وجهه**﴾ (القصص/٨٨).

إن البارودي كمسلم ملتزم بالعقائد الإسلامية يرى أن الله تعالى تواب يغفر الذنوب مهما كانت كبيرة فلا ينبغي للمسلم أن ييأس من رحمة الله إذ إن اليأس إثم كبير فيقتبس من الآية: ﴿**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم**﴾ (الزمر/٥٣) فيقول:

لا يقنط المرء من غفران ربه ما لم يكن كافرا بالبعث والقدر

(الديوان، ج٢، ص٩٢)

ثم يحذر الإنسان من أن يقترف ذنبا لا يتوب منه إلى الله تعالى فيبشره بعذاب أليم مثلما حدث لقوم عاد:

أباده الدهر رغما بين أسرته كما أباد بريح صرصر عادا

(الديوان، ج١، ص٢٥٣)

وفيه استحضار لقصة قوم عاد الذين رفضوا الإيمان بالله فنزل العذاب بهم كما في الآية: ﴿**وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية**﴾ (الحاقة/٦)، وأخيرا يستنتج الشاعر من جميع هذه الصفات الإلهية أن الله تعالى وحده يليق بالحمد والثناء قائلا:

فالحمد لله الذي وهب العلا وسرا الأذى عني فأبصرت الهدى

(الديوان، ج١، ص٣٧)

وفيه تناص لفظي للآية التالية: ﴿**الحمد لله الذي خلق السموات والأرض**﴾ (الأنعام/١).

ثم يتزهه من كل الشوائب والعيوب قائلا:

تنزهت عن صفة ذاته وقام في لاهوته أوحدا

(الديوان، ج١، ص١٢٥)

وفيه تناص معنوي للآية: ﴿**سبحان الله عما يصفون**﴾ (الصافات/٥٩) فيقرن البارودي التنزيه ببيان الصفة في قوله:

سبحان من أبدع في ملكه حتّى بدا من صنعه ما بدا

(الديوان، ج١، ص١٢٥)

فيصفه بأنه هو المبدع الخالق عن عدم، مقتبسا من الآية: ﴿**بديع السماوات والأرض وإذا قضى**

www.SID.ir

Archive of SID

أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾ (البقرة/١١٧).

المعاد

إن البعث والمعاد كأصل من أصول العقائد الإسلامية يشكل عددا من أبيات كل شاعر مسلم بمن فيهم البارودي فنراه مقتبسا من الآيات ﴿**الله يبدأ الخلق ثم إليه ترجعون**﴾ (الروم/١١) و﴿**إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير**﴾ (الهود/١١) فنشاهد التناص المعنوي لهذه الآيات في الأبيات التالية:

كل امرئ يوما ملاق ربه والناس في الدنيا على ميعاد

(الديوان، ج١، ص١٩٨)

فإن تكن الأيام فرقن بيننا فكل أمر يوما إلى الله صائر

(الديوان، ج٢ ، ص٣٦)

فيحض الشاعر الناس على أن يكونوا على أهبة الإستعداد ليوم البعث بالأعمال الصالحات قائلا:

فلينظر المرء ما قدمت يداه قبل المعاد فإن العمر لم يدم

(الديوان، ج٢، ص١٧)

وفيه تناص لفظي جملي لهذه الآية: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد**﴾ (الحشر/١٨) فيشدّد على الموضوع قائلا بأن كل إنسان قرين مع أعماله في الدار الآخرة:

كن كما شئت من رشاد وغي كل حي بما جناه رهين

(الديوان، ج٢، ص٩٤)

آخذا من الآية الكريمة: ﴿**كل امرئ بما كسب رهين**﴾ (الطور/٢١).

التقوى

إن التقوى من القيم التي تلعب دورا هاما في حياة الإنسان إذ بها تتحقق روحانية الإنسان وتتعالى روحه فنرى أن الله تعالى يشير إليها في ٩٩ آية بما فيها ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا**﴾ (الأحزاب/٧٠) وكذلك النبي(ص): «**اللّهم إني أسالك الهدى والتقى والعفاف والغنى**» (نهج الفصاحة، ص١٠٨).

يتطرق الشاعر في أشعاره إلى هذا الموضوع فيراه الزاد الوحيد الذي يجب على الإنسان أن يتزود به في الدنيا لآخرته:

ليس للإنسان فيها غير تقوى الله قوت

(الديوان، ج١، ص٩٧)

إن التقوى في رؤية الشاعر هي الوسيلة الوحيدة التي تستطيع أن تنقذ الإنسان من هوة الذنوب والآثام، وفي غيابها يقترف عباد الله جميعا الذنوب مؤمنين كانوا أو كافرين:

www.SID.ir

Archive of SID

يا دمية ولولا التقية لاستوتْ في حبها الفُتّاك والوُعّاظُ

(الديوان، ج٢، ص١٩٧)

وكذلك يدعو عباد الله إلى التقوى بتذكير العذاب الإلهي في يوم القيامة:

يـــا أيها الناس اتقوا ربَّكم واخشَوا عذابَ الله والآخرة

(م.ن، ص١٢٢)

وفيه تناص لفظي للآية الكريمة: ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم**﴾ (الحج/١).

إن البارودي كشاعر ملتزم يعتقد أن واجب الشعر هو أن يكون في خدمة الإنســـانية وتهـــذيب الأخلاق فيطالب نفسه وسائر الشعراء بالتقوى:

أيها الشاعر اتّقِ الله واذكرْه أنّ للشـــعر حكمة عليـــاءَ

(الديوان، ج٢، ص١٥٩)

التوبة

إن التوبة كسبيل لتصفية الروح وتزكية النفس تخلي الإنسان من جميع الشوائب العالقة بالقلـــب وتجعله طاهرا نقيا كمن ولد في يومه فتعتبر التوبة مرحلة جديدة من حياة المذنب الآثم. ومن ثم نـــرى أن الشريعة الإسلامية السماوية يشدد عليها كوسيلة لفلاح الإنسان المذنب: ﴿**يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا**﴾ (التحريم/٨) وقد ورد في الحديث الشريف: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإنّي أتوب في اليوم مائة مرة**» (النووي الدمشقي، ١٣٧٣ هـــ.ش، ص١٣).

إن موقف البارودي من التوبة موقف منسجم مع الدين الإسلامي حيث نراه يتطـــرق إلى هـــذه الظاهرة مستلهما من الآيات والأحاديث فيرى أن على المذنب أن يتوب في أســـرع وقـــت ممكـــن ولايؤجل التوبة لغد إذ إن التأجيل فيها ربما يؤدي إلى مندمة لا تنفعه:

فتـــــُب إلى الله قبل مندمة تكثر فيها الهُمومُ والكرَبُ

(الديوان، ج١، ص٨٨)

ويعتقد أيضا أن الله تعالى رحمان قابل للتوبات بحيث إذا ارتكب الإنسان إثما عن جهالة فيســـرع إلى أن يتوب إلى الله توبة نصوحا، يتقبل الله توبته:

فاضرَعْ إلى الله واستوهبه مغفرة تمحو الذنوبَ فجاني الذنبِ يعتذرُ

واعجَلْ ولا تنتظرْ توباً غداة غد فـــليس في كلّ حـــين تُقبَلُ العُذرُ

(الديوان، ج٢، ص١١٢)

فيستخدم الشاعر في البيت الأخير التناص المعنوي للآية الكريمة: ﴿**وليست التوبة للذين يعملـــون السيئات حتّى إذا حضر أحدَهم الموتُ قال إني تبتُ الآن ولا الذين يموتون وهم كفّار أولئك أعتدنا لهـــم**

www.SID.ir

Archive of SID

عذاباً أليما﴾ (النساء/١٨-١٩)

الزهد

إن التعلق بالدنيا وما فيها كان ولا يزال سببا لسقوط الإنسان في مستنقع الإثم والظلم والجور فأكدت الشرائع السماوية ولاسيما الإسلام على الزهد في الدنيا كما قال النبي(ص): «**الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن، والرغبة فيها تكثر الهم والحزن**» (نهج الفصاحة، ١٣٨٨هـ.ش، ص٢٨٩) وأيضا «**مالي وللدنيا انما مثلي ومثلها كمثل الراكب رفعت له شجرة في يوم صائف فقال تحتها ثم راح وتركها**» (الكليني، [د.ت]، ص٢٠٢).

يذكر البارودي الناس بأن لاينخدعوا بالدنيا، ويعرف طالبي الدنيا أشخاصا عاجزين بؤساء. ويرى أنها تدور رحي الدنيا يوما على ما يرام ويوما على ما لا يرام، فيشبهها بأسد مستعد للانقضاض على الإنسان ويرى أنه لاقيمة للدنيا وللحكم فيها، والملوك الجبابرة الظلمة لن يتمتعوا بها فيتركونها لحالها ويمضون لسبيلهم حيث القبر مسكنهم الأبدي:

كلُّ حي سيموتُ ليس في الدنيا ثبوتُ
حركاتٌ سوف تَفني ثمُّ يتلوها خُفوتُ

(الديوان، ج١، ص٣٣٣)

وفيه تناص معنوي لقوله تعالى: ﴿**وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**﴾ (آل عمران/٥) ويقتبس من الآية ﴿**كل نفس ذائقة الموت**﴾ (آل عمران/١٨٥) منشدا:

كل امرئ ذاهب لغايته وكل نفس بالغيب مؤتمره

(الديوان، ج٢ ، ص٩٥)

فلا تحسبن المرء يبقى مخلدا فما النفس إلا بعد كل نماء

(الديوان، ج١، ص٢٧)

يشدد البارودي على لزوم الاعتبار من الماضين الذين كانوا يعيشون أياما في الدنيا وهم مقتدرون ذوو عظمة وجلال بينما نراهم الآن رهائن القبور، مشيرا إلى الآية الكريمة: ﴿**ألم ترَ كيف فعل ربُّك بعاد إرمَ ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد**﴾ (الفجر/٨-٦) فيشوق الإنسان بالزهد في الدنيا:

أين الأُلى شقّوا البحورَ وشيدوا ذاتَ العمادِ

(الديوان، ج١، ص٢٥٤)

ويستفيد من التناص لهذه الآية: ﴿**كم تركوا من جنات وعيون**﴾ (الدخان/٢٥) فينشد:

أيها السادرُ قل لي أينَ ذاك الجبروتُ
زالت التيجانُ عنهم وخلَتْ تلك التُّخوتُ

(الديوان، ج١، ص٣٣٣)

www.SID.ir

Archive of SID

فيستنتج بأنه لا فرق بين من يكون ثريا أو فقيرا فكل واحد منهما لا محالة يودعان الدنيا ويقضيان نحبهما لأن الموت حتم على الإنسان:

للمـــوت أسبـــاب ينال بها الفتى فمن بات في نجد كمن بات في وهد
وكل امـــرئ في الناس لاق حمامه فـــسيان رب العيـــرو الفـــرس النهد

(الديوان، ج١، ص٢٣٨)

وفيه تناص معنوي لقوله تعالى: ﴿**أينما تكونوا يدرككم الموت ولـــو كنـــتم في بـــروج مشـــيدة**﴾ (النساء/٧٨).

وتأكيدا على الزهد في الدنيا يشبه الدنيا بحديقة نضرة ثمرها الحزن والأسى، وأزهارها وأورادهـــا هي الظلم والجور فيلزم الحذر من هذه الحديقة ويشبهها أيضا بفندق يتزل المسافر فيه مؤقتا ثم يتركـــه مواصلا سفره. فيستنتج الشاعر أن الإنسان في الدنيا يشابه المسافر في الفندق فيجب أن لا يتعلق بهـــا لأنها ليست دار قرار بل دار فناء وزوال:

لَعمرُك مـــا حي وإن طـــال سيرُهُ يعَـــــدُّ طَليقـــاً والمنونُ له أَسرُ
مـــــا هذه الأيام إلاّ منـــــازلُ يـــحلُّ بـــها سَفرٌ ويتركها سَفرٌ
فـــلا تَحسبـــنّ المـــرءَ فيها بخالد ولـــكنّه يـــسعى وغـــايتُه العمرُ

(الديوان، ج١، ص٤٦)

الجهاد

إن البارودي بوصفه شاعرا يعتنق الدين الحنيف، يستفيد من فنه لترغيـــب النـــاس في الأحكـــام الإسلامِة بما فيها الأصول والفروع والقيم الأخلاقية فنراه يتطرق أحيانا إلى موضوع الجهاد في ســـبيل الله مقتبسا من قوله تعالى: ﴿**فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما**﴾ (النســـاء/٣٦) فيقـــول في أسلوب استفهام إنكاري مفضلا الجهاد على القعود:

فهل دفاعي عن ديني وعن وطني ذنب أدان به ظلما وأغترب

(الديوان، ج١، ص٦٥)

فيرى البارودي أن للجهاد وللشجاعة دورا هاما في اكتساب المجد والعلى والعزة. فهو يقـــدرهما حق التقدير لأنه جرب الوقائع فعلا واشترك مباشرة في عدد منها بما فيهامعارك جزيرة "كريت" سنة ١٨٦٦م حيث ثارت على الدولة فأسهم إسماعيل بجيشه في إخماد الثورة، وكذلك الحرب ضد روسيا عام ١٨٧٧م فوصف هذه المعارك وما بذله الأبطال فيها من شجاعة وبسالة:

لا يدرِك المجدَ إلاّ مَن إذا هتَفت به الحمية هزَّ الرمحَ وانتصبا

(م.ن، ص٦٧)

www.SID.ir

Archive of SID

إن الشاعر كجندي باشر المعركة،يشبه نفسه وزملاءه من الجنود بأسود لاتزال على أهبة الاستعداد لشن الهجوم على العدو عند طلوع الفجر:

تَـــرانا كالأُسد نرصُد غارة يطير بها فَتقٌ مِن الصبح لامحُ

(م.ن، ص١١٢)

ويعتقد أيضا أن جنوده لاتشعر بأي خوف أو قلق عندما يقتحمون المعارك بل يدحرون العدو ويهزمونه بكل شجاعة وبسالة:

إنـــّا أُنـــاس لا تَهاب نفوسُنا لقاءَ الأعادي أو قراعَ الكتائبِ

نـــردُّ على الأعقاب كلَّ سرية و نعجز عن نبل العيون الصوائبِ

(م.ن، ص٦١)

وأخيرا يعبر البارودي عن شجاعته وبسالة أسرته وجنوده بأن ميلادهم، حياتهم وموتهم في ميدان القتال فيقول: عندما يولد منا وليد يرضع من دم الأعداء، والخيول السريعة مهده، والصحاري والسهول بيته، وفي النهاية بطن الطيور قبره ومرقده:

إذا وُلـــد المولود منّا فدرُّهُ دمُ الصيدو الجردُ العَناجيجُ مهدهُ

فإن عاش فالبِيدُ الدماميمُ دارُه وإن مات فالطيرُ الأَضاميمُ لَحدُه

(الديوان، ج٢، ص٧٥)

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن الله تعالى خلق الإنسان ودعاه إلى صواب الطريق لكي يتعالى وتتحقق حقيقته الإنسانية الإلهية فأنزل الأديان السماوية وأرسل الأنبياء إرشادا له وفي هذا الصدد ألزم المؤمنين بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحقيقا للوصول إلى المجتمع المثالي الذي يخلو من الإثم والفسق والذي يسوده الإيمان والطاعة حيث نرى أنه تعالى يصف المؤمنين بأنهم يأمرون الآخرين بالمعروف وينهونهم عن المنكر: ﴿**يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر يسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين**﴾ (آل عمران/١١٤) فيقتبس البارودي كمبلغ للأحكام الإسلامية، من هذه الآية قائلا:

أمرت بمعروف وأنكرت منكرا وذلك حكم في رقاب الخلائق

(الديوان، ج٢، ص٣٧٥)

الدعاء

إن للدعاء في المنظور الإسلامي منزلة عالية بحيث يعد جسرا رصينا يعبره العبد إلى المعبود فنرى أن الإسلام يحرص على أن المسلم يستفيد من سلاح الدعاء لتغتفر ذنوبه وتتعالى روحه فنجد في القرآن

www.SID.ir

Archive of SID

١٠٤ آيات يستفاد فيها من كلمة "ربنا" والتي تعد دعاء في أكثرها فعلى سبيل المثال ﴿**ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهَب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب**﴾ (آل عمران/٨) وكذلك وردت أحاديث نبوية: «**الدعاء هو العبادة**» أو «**الدعاء سلاح المؤمن**» أو «**الدعاء مفتاح الرحمة**» (نهج الفصاحة، ص٢٦٩).

إن البارودي كشاعر مسلم معتقد بالمباني الدينية يهتم بموضوع الدعاء اهتماما خاصا ويخص عددا كثيرا من أشعاره بالدعاء وأن يسأل الله تعالى فيدعوه أن يصفح عنه ويغفر ذنوبه بحق النبي(ص):

يا ربِّ بالمصطفى هَبْ لي وإن عظُمتْ　　جرائمي رحمة تُغني عن الحُجَجِ

(الديوان، ج١، ص١٠٤)

ويكرر نفس المعنى في الأبيات التالية:

ربِّ هبْ لي من الكرامة ما　　يسرُّ نفسي فإنّما وَجِره

ولا تَكلني لِمَن يعذبني　　فإنّ نفسي إليك مفتقره

(الديوان، ج٢، ص٩٥)

وهو يحيل إلى الحديث النبوي: «**اللهم (إلهي) لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبدا ولا تنزع مني صالح ما أعطيتني**» (نهج الفصاحة، ص١١٢).

وجدير بالذكر أن البارودي لايجعل الدعاء وسيلة للغفران الإلهي فحسب بل يجعله أحيانا وسيلة للعذاب الإلهي حيث يدعو على الذين يبيعون دينهم بدنيا الآخرين:

فلا رحمَ امرأً باعَ دينَه　　بدنيا سواه وهُو للحقّ رامقُ

(الديوان، ج٢، ص٣٣٧)

وفيه تناص معنوي للآية: ﴿**أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون**﴾ (البقرة/٨٦).

الصبر

يحفل ديوان الشاعر بالأشعار التي نظمها عن الصبر والحلم. فمرة وبحكم "الصبر مفتاح الفرج" يرى أن الصبر يسبب في النصر والظفر وأن الإنسان عند المشاكل والحروب يستطيع أن يتغلب عليها بالصبر، فيدعو الناس به في الصعوبات:

صبرتُ لها حتّى تجلّت سماؤها　　وإنّي صبورٌ إنْ ألَمَّ بي الخَطبُ

(الديوان، ج١، ص٦٧)

فاصبِرْ على المكروهِ تظفرْ بما　　شئتَ فقد حازَ المُنَى مَن صبرْ

(الديوان، ج٢، ص١٠٢)

www.SID.ir

Archive of SID

ومرة أخرى يقتبس من الآية الكريمة ﴿**فاصبر لحكم ربّك ولا تطع منهم آثما أو كفورا**﴾ (الإنسان/٢٤) فيرى أن الإنسان يلزم عليه أن ينقاد للقضاء والقدر ويجب أن يصبر على المكروهات التي تحدث من جراء الحكم الإلهي:

فدَعْ ما مضَي واصبِرْ على حكمةِ القَضا فلَيس ينالُ المرءُ ما فاتَ بالجهدِ

(الديوان، ج٢، ص٢٣٩)

وكذلك يرى في الصبر سببا للسيادة الإنسانية:

وليس يسُودُ المَرْءُ إلاّ بِحِلمِهِ على قَومِهِ والصَّفحِ عن كلِّ مُذْنبِ

(الديوان، ج١، ص٦٨)

وفي رؤية البارودي أن الصبر أفضل دليل على الفضائل الأخلاقية:

ولو لم يكنْ في الصبر أعدَلُ شاهد على كرمِ الأخلاقِ ما حُمِد الصبرُ

(م.ن، ص٩٧)

ويستخدم التناص اللفظي لهذه الآية: ﴿**فاصبر صبرا جميلا**﴾ (المعارج/٥) قائلا:

يا قلب صبرا جميلا إنه قدر يجري على المرء من أسر وإطلاق

(م.ن، ج٢، ص٩٧)

وأخيرا يصل إلى النتيجة وهي أن جميع الأماني الإنسانية تتحقق بالصبر، وهو يستلهم من الآية الشريفة: ﴿**يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين**﴾ (البقرة/١٥٣) فيقول:

يا قلب لا تجزع فإن المنى في الصبر والله مع الصابر

(الديوان، ج١، ص١٠٦)

الوفاء بالعهد

إن الشريعة الإسلامية تحث المسلمين دائما على الوفاء بعهودهم التي يعقدونها:

﴿**وأَوفُوا بالعهد إنّ العهدَ كان مسؤولا**﴾ (الإسراء/٣٤) وقد ورد في الحديث الشريف: «**لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به**» (نهج الفصاحة، ص٣٧٤) فنرى أن الإسلام يجعل الدين والعهد متلازمين حيث روي عن النبي(ص): «**لا دين لمن لا عهد له**» (م.ن، ص٤٠٣).

يتطرق البارودي كمسلم إلى هذا الموضوع فيجعل من العهد معنى عاما ويرتئي أن الإنسان عندما عقد عهدا مع الآخرين يفترض عليه أن يفي به لأن هذا الوفاء يضمن الصداقة للناس، والغدر يسبب في الفراق بين الأصدقاء:

إنّي إذا ما الخِلُّ خاسَ بِعَهد بعد الوِدادِ فلستُ مِن أصحابِهِ

(الديوان، ج١، ص٧٧)

www.SID.ir

Archive of SID

كيف يصِـــحُّ بعد الغَدْرِ وُدٌّ وتَســـلَمُ رَنية بعد ارتيـــاب؟

(م.ن، ص٨١)

ويعلن الشاعر أيضا أن الإنسان إذا وفى بعهده مع الآخرين لا يحاول أن يخدعهم ويغدر بهم فيبقى صديقا مخلص الود لهم:

لا تَحسبي قَولي خديعة ماكر إنّ الوَفيّ بعهده لم يخدع

(م.ن، ص٢٠٦)

يسائل الشاعر في أسلوب إنكاري كل من ينكث يمينه فيتوقع من الآخرين أن يفوا بعهودهم،قائلا لهم إن هذا أمر مستحيل:

أَفي الحقِّ أنّا ذاكرونَ لِعهدكمْ وأنتم علينا ليس يعطِفكمْ وُدُّ؟

(م.ن، ص١٦٦)

الجود والكرم

ينظر الدين الإسلامي إلى موضوع الجود والسخاء نظرة خاصة كما في الآية الكريمـــة: ﴿**الـــذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولاأذي لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف علـــيهم ولا هم يحزنون**﴾ (البقره/٢٦٢)، والحديث النبوي: «**ما نقص مال من صدقة**» (نهج الفصاحة، ٤١٥).

اختصت أشعار كثيرة من ديوان البارودي بالجود والكرم كقيمة إسلامية فنرى الشاعر يشبه الجود بسحاب ممطر ينبت من غيثه نبات الشكر قائلا إن الجود سبيل رئيسي للوصول إلى المجد والمقامـــات العالية ويعتقد أن الإنسان الثري إذا لم ينفق من ماله يفتقر ويحتاج إلى مساعدة الآخرين:

يلومونَني فـــي الجودِ والجودُ مزنة إذا هَمَلتْ في مَوضع نبتَ الشكرُ

إذا المرءُ لم ينفقْ من المال وُسعَ ما دَعَتهُ المَعـــالي فالثَّراءُ هو الفقـــرُ

(الديوان، ج١، ص١٩٤)

يرى البارودي أن ممتلكات الإنسان إذا لم تنفق في سبيل الخير و لم تجلب حمد الناس وثنـــاءهم، لا يجديه أبدا:

فلا تَحسبَنَّ المالَ ينفعُ ربَّهُ إذا هو لم تَحمَدْ قِراهُ العَشائرُ

(م.ن، ص٢٢٧)

هناك سنة قديمة في المجتمع العربي وهي أن السخاء يحفظ عرض الإنسان من اللوم ويجعله قويا فمن هذه الرؤية نرى أن البارودي يشبه الكرم بالقدرة ويجعله حافظا لعرض الإنسان وضامنا لأصله ونسبه ويقول إن الأبطال الشجعان المستميتين الذين يفدون بأرواحهم لا يبخلون ببذل أموالهم:

وجُدْ بما مَلكتْ كفّاك مِن نَشَب فالجودُ كالبأس يحمي العرضَ والنَّسَبا

www.SID.ir

Archive of SID

لا يــقعُدُ البطلُ الصّنديدُ عن كرم مَن جــادَ بالنفسِ لم يبخلْ بما كسبَ

(م.ن، ص٦٩)

ذم النميمة

إن النميمة من الرؤية الإسلامية ظاهرة ممقوتة مذمومة لابد للإنسان أن يجتنب عنها كل الاجتناب كما في الآية القرآنية: ﴿**ولا تُطِعْ كلَّ حلّاف مَهين همّاز مشّاء بنميم**﴾ (القلم/١٠-١١) والحديث النبوي «**لا يدخل الجنة نمام**» (النووي الدمشقي، ص٨٧٢).

يبادر البارودي في أشعار كثيرة من ديوانه إلى عذل النميمة والنمام فيرى أولا أن السبب في النميمة هو الحقد والبغض الكامنان في قلب النمام فهو وإن ظهر بمظهر إنسان سليم النفس لكنه يقوم بالنميمة نظرا إلى الحقد المقيم في قلبه:

فــاحذَرِ الناسَ ما استطعتَ فإنّ الناس إلاّ أقلّهم أعداءُ

مِــن الناس مَن نراه سليماً وبــــه للحقود داءٌ عَياءُ

(الديوان، ج١، ص٢٨)

ثم يقوم الشاعر إلى ذكر تداعيات هذه الظاهرة الخطرة فيرى أن النميمة من شأنها أن تسبب في فك أواصر الصداقة فيما بين الناس:

لولا النميمة لم يقَعْ بين امرئ وأخيه مِن بعــد الوِدادِ عِداءُ

(م.ن)

وكذلك يعبر عن النميمة بمرض يجب علاجه فيخاطب الذين يستمعون إلى كلام النمامين أن النميمة لا تؤدي إلى الإصلاح بل تؤدي إلى الإفساد لأنه علة روحية يلزم علينا أن نعالجها:

لا تخَلْ نمة الوُشاة صلاحاً فهي داءٌ تَدْوَي به الحَوباءُ

(م.ن)

حفظ السر

يعتبر حفظ الأسرار في التعاليم الإسلامية من القيم الدينية السامية: «**صدر العاقل صندوق سره**» (نهج البلاغة، ١٣٥١هـ.ش، ص١٠٩٠) و«**من كتم سرّه كانت الخيرة بيده**» (م.ن، ص١١٦٦).

يستطرد البارودي في شعره إلى هذا الموضوع القيم،ففي رؤيته أن السر عبد للإنسان وأسيره مادام لم يفش وإذا ما فشا يجعل الإنسان أسيرا وعبدا له فيشدد على حفظ الأسرار:

السرُّ عبدُك ما استطعتَ حِفاظَه فــإذا أفَضــتَ به فإنّــك عبدُه

(الديوان، ج١، ص٢٥)

www.SID.ir

Archive of SID

وفيه تناص معنوي لما أثر عن الإمام علي ابن أبي طالب(ع): «**سرك أسيرك فإن أفشيته صرت أسيره**» (غررالحكم ودرر الحكم، ١٣٦٦هـ.ش، ص١٤٦) ويبين أيضا فوائد حفظ السر ومخاطر إفشائه، فمن فوائده أنه يؤدي إلى مجد الإنسان وكرامته ويمدحونه به في كل مجلس:

عوِّد فؤادَك أن يكون مجنة للسرِّ فهو لدى المحافل حمدُه

(الديوان، ج١، ص٢٥)

ويؤكد على مضار إفشاء السر بحيث يلزم على الإنسان أن لا يفشي أسراره ولو عند صديقه إذ إنه من المحتمل أن يتحول عدوا في المستقبل القريب:

ألم تعلمْ وخيرُ القولِ أبقى بأن الصمتَ منجاة الأريبِ
فلا تأمنْ على سِرٍّ حبيباً فقد يأتي العدوُّ في الحبيبِ

(م.ن، ص٧٨)

العلم

مما لا شك فيه أن الإسلام كدين إلهي خاتم اعتنى بموضوع العلم كل الاعتناء وبين مكانته العالية وحذر المسلمين من الجهل الذي يتخلف به العقل والمجتمع الإنساني فنرى أن أول آية نزلت تبين أهمية العلم والمعرفة: ﴿**اقرأ باسمك الذي خلق**﴾ (العلق/١). فالعلم من الرؤية الإسلامية نور يقذفه الله في قلب من يشاء يهتدي به الطالبون الهداية والفلاح، والجهل ظلمة يضل من ينهج نهجه ويسلك سبيله فيؤكد القرآن على ما بين العلم والجهل من البون الشاسع: ﴿**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وإنما يتذكر أولوا الألباب**﴾ (الزمر/٩) ونظرا لأهمية القلم يقسم به الله: ﴿**ن والقلم وما يسطرون**﴾ (القلم/١).

فنرى البارودي يستلهم من هذه الآيات وكذلك الحديث النبوي(ص): «**مَن خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتّى يرجع**» (النووي الدمشقي، ص٧٨٠) فيمجد العلم ويشيد بالقلم كأداة تنضح بها أفكار العلماء على القرطاس وتنقل إلى المخاطب، فيعبر عن القلم بأنه يسقي ويروي العقول الظمأى:

براحتي قلم إذا حرَّكتُه رَوِيتْ به الأفهامُ وهي حوارُ

(الديوان، مج ٢، ص٧٦)

وكذلك يعتقد أن القلم وسيلة قوية للقتال في وجه العدو حيث يخرج من جميع الحروب مرفوع الرأس منتصرا:

ترتدُّ عنه قنابلُ وجحافلُ وتكلُّ عنه أسنة وشِفارُ

(م.ن)

ويقيس الشاعر الصوت الناتج عن حركة القلم على القرطاس بالأنغام الموسيقية التي تنشأ من الأدوات الموسيقية فيفضل صوته على صوتها حيث تسجد أمامه:

www.SID.ir

Archive of SID

غرِوٌ إذا ما جالَ فوق صحيفة سجدتْ لِحسنِ صريره الأوتارُ

(م.ن)

في رأي البارودي أن عزة الأمم، قوتها وعظمتها كلها رهن العلم والفكر:

بــقوة العلم تقــوى شوكة الأمم فالحكمُ في الدهر منسوب إلى القلمِ

(الديوان، ج٣، ص٥١١)

ثم يقوم بمقارنة بين السيف والقلم فيبين البون الشاسع بينهما من حيث التأثير كما يكون المسافة بين الأرض والسماء:

كــم بين ما تلفظُ الأسيافُ مِن علَق وبين ما تنفثُ الأقلامُ من حِكــمِ

لو أنصف الناسُ كان الفضــلُ بينهم بــقطرة مِــن مداد لا بسفك دم

(م.ن)

الاجتناب عن ظن السوء

هناك أشعار عديدة في ديوان البارودي تحذر الإنسان من سوء الظن بالآخرين مستلهمة من الآية الشريفة: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظّنّ إن بعض الظــن إثم**﴾ (الحجــرات/١٢) والحــديث النبوي ﴿**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**﴾ (النووي الدمشقي، ص٩٠٢).

فيرى أن سوء الظن يجر الإنسان إلى الذنوب ويحول دون وصوله إلى الأهداف السامية:

رأى كلَفي لا يستفيقُ فظنَّ بي هَنات وسوءُ الظنِّ داعية الوِزرِ

(الديوان، ج٢، ص١٢)

يظنّون بي شرّاً ولستُ بأهله وظنُّ الفتى مِن غير بينة وِزرُ

(م.ن، ص١٣٣)

وكذلك يعتقد البارودي أن سوء الظن ينتهي إلى هلاك الإنسان وفنائها:

أتحسبُ أنّ الظنَّ يدرك بعضَ ما تُحاوله والظنُّ للمرء مُوبقُ

(م.ن، ج١، ص٦٣)

الحذر من معاشرة اللئام

يرى الشاعر أن الاجتناب عن جلساء السوء ضروري كإحدي القيم الدينية الأخلاقيــة فيحــذر الإنسان من مجالستهم وإن كانوا مقتدرين، ويعتقد أن معاشرتهم تعد من أصعب الأمــور في الحيــاة وتؤدي إلى الحزن والأسي ومعاناة الكرام:

www.SID.ir

Archive of SID

تَعِسَتْ مقارنة اللئيم فإنّها شَرَقُ النفوس ومحنة الكرَماء

(م.ن، ص٢١)

يستلهم الشاعر من الحديث النبوي: «**المرء على دين خليله**» (نهج الفصاحة، ص٤٧٥) معلنا أن أصعب ما يواجهها الإنسان في حياته هو فقد الكرام ومعاشرة اللئام:

أشدُّ ما يلقَي الفتى في دهره فقدُ الكرامِ وصحبة اللِّئامِ

(الديوان، ج١، ص٢٢)

يرى البارودي أنه فرض على الإنسان أن يحترز من اللئام وإن كانوا في المناصب الدنيوية العالية إذ إن أخلاقهم تعدي إليه:

واحذَرْ مقارنة اللئيم وإنْ علا فالمرءُ يفسِدُه القرينُ الأحقرُ

(الديوان، ج ٢، ص٧٢)

عدم الخنوع للذل

يطالب الإسلام دوما أتباعه بأن لا يخضعوا للذل والهوان لأن المسلم عزيز شريف. روي عن النبي(ص): «**من أقر بالذل طائعا فليس منا أهل البيت**» (ري شهري، ج١٠، ص٢٥٠) فيرى البارودي كشاعر مسلم أن الموت أفضل من الذل والهوان:

دَعِ الذّلّ في الدنيا لِمَن خافَ حَتفَهُ فَلَلموتُ خيرٌ من حياة على الأَذَى

(الديوان، ج٢، ص١٠٠)

ومن منطلقه أن الإنسان إذا أراد الوصول إلى الأهداف المتعالية يجب عليه أن يركب مطايا الأخطار، فيجد كل ما يتجشمه في هذا الطريق محبوبا وفي النهاية أنه لابد من أن يستسلم الدهر لمتطلباته:

همامة نفس أصغَرَتْ كلَّ مأرَب فكلَّفتِ الأيامَ ما ليس يوهَبُ

ومَن تكنِ العلياءُ همة نفسه فكلُّ الذي يلقاه فيها مُحَبَّبُ

(الديوان، ج١، ص٣٩)

الحذر من العدو

يعتبر الاجتناب عن العدو من صميم العقائد الإسلامية لأن الإسلام يريد المسلمين أعزاء مرفوعي الرأس في حياتهم الدنيوية والأخروية. يعتقد البارودي بخصمين في الحياة الإنسانية، أحدهما ظاهري وثانيهما باطني ويجب على الإنسان أن لا يهاب من العدو الظاهري بينما الثاني جدير بالخوف:

لا تخشَ بؤساً مِن عدوٍّ ظاهر واخشَ المكيدة من عدوّ باطن

www.SID.ir

Archive of SID

كـــم بين شرٍّ ظاهر مستدرك منه الخَلاصُ وبيـــنَ شرّ باطن

(الديوان، ج٣، ص٦٧٨)

في رأيه أن المسلم يلزم أن لا يثق بالعدو لأن العدو يخدعه كما أن النار تخدع الفراش:

لا تـــركنَـــنَّ إلى العـــدوُ فـــإنّه يبغي سِقاطَك بالحديثِ المُعجبِ

كـــالنّار تختدع الفـــراشَ بحُسنها فينال منه البؤسُ إنْ لـــم يعطبِ

(الديوان، ج١، ص٧٨)

ففيه تناص لهذه الآية: ﴿**ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار**﴾ (الهود/١١٣).

ثم يعلن الشاعر أن الفوز والفلاح والسلامة تتحقق بالابتعاد عن العدو:

فإنْ رُمتَ السلامة فاجتنبْ عدوّاً فالسلامة في اجتناب

(م.ن، ص٨١)

مذمة شرب الخمر

يذم الشاعر الخمر وشربها مستلهما بالآية الكريمة: ﴿**يسئلونك عن الخمر والميسر قـــل فيهمـــا إثم كبير**﴾ (البقرة/٢١٩) والحديث النبوي: «**احذروا كل مسكر فإن كل مسكر حـــرام**» (ري شـــهري، ج٥، ص٢٥١٠). فيرى أن الخمر تزيل عقل الإنسان وتجره إلى الرذائل وكلما دخلت في قلـــب الإنســـان تمسخه فيحذره منها:

مـــا أنا ممّن تأسرُ الخمرُ لُبَّهُ ويملك سَمعَيه اليراعُ المثقَّبُ

(الديوان، ج١، ص٣٨)

فبئسَتِ الخمرُ مِن مخـــادعة لِسَلمِها في القلوب مُحتَربُ

إذا تـــغشَّتْ بمهجـــة قتلتْ كما تفَشَّ في المَبرك الجَرَبُ

(م.ن، ص٨٧)

فيعرف السكران رجلا ضل الطريق:

دَعِ الحـــــُمَيا فلابنِ حانتها مِن صدمة الكأسِ لَهذَمٌ ذَرِبّ

تـــراه نُصـــبَ العيون متكئاً وعقلُـــه في الضلال مغتربُ

(م.ن، ص٨٨)

عدم احتقار الفقراء

تشدد الشريعة الإسلامية على ضرورة الاحترام لجميع أبناء البشر بما هو إنسان، وتؤكـــد أيضـــا تأكيدا خاصا على مساندة المعوزين والفقراء وبالتالي تحذر أتباعها من استصغارهم لفقرهم كما قـــال

www.SID.ir

Archive of SID

النبي(ص): «**بحسب المرء من الشرّ أن يحقر أخاه المسلم**» (النووي الدمشقي، ص٩٠٢) يرى البارودي أنه يلزم أن لا يحتقر المعوزون والفقراء لفقرهم ولعوزهم وكذلك يلزم أن لا يكرم الأثرياء لثرائهم وغنائهم لأنه من المحتمل أن يكون الفقير ذا قلب حافل بالحكمة والعلم بينما يمكن أن يكون قلب الثري مليئا بالجهل والبلاهة:

لا تحتقرْ ذا فاقة فلربّما لقيتَ به شهماً يبرّ على المُثرى

فرُبّ فقير يملأ القلبَ حكمة وربّ غنى لا يريشُ ولا يبرى

(الديوان، ج٢، ص١٥)

خاتمة البحث

إن للشعر وللشعراء دورا هاما ومكانة عالية في ترسيخ المباني العقدية في المجتمع الإنساني ولاسيما الإسلامي منه فنشاهد الشعراء المسلمين يبذلون قصاري جهودهم في هذا الصدد فيخصون أشعارا كثيرة من ديوانهم للوصول إلى هذا الهدف المنشود.

والبارودي هو الآخر من أصحاب الالتزام في الأدب والشعر حيث يرى أن واجب الشعر هو تهذيب النفس، تعليم العقل وهداية الإنسان إلى قمة المكارم الأخلاقية لخلق مجتمع ديني أخلاقي مثإلي، فحاول أن يحقق بشعره هذه الأمنية البشرية حيث يكون فيها الفلاح والفوز للإنسان،فقام الشاعر بأن يعلم الناس التعاليم الدينية والأحكام الإسلامية مستلهما بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وبين للناس القيم الدينية الأخلاقية الفردية والاجتماعية التي لها دور رئيس في حياة الإنسان، فديوانه حافل بهذه الفضائل ونراه يلعب دور المرشد والقائد الديني للناس.

وللتناص الديني – ولاسيما التناص القرآني– دور عظيم في ديوانه فيستخدم التناص القرآني لفظيا كان أو معنويا لتبيين أفكاره ومعتقداته التي تكونت منذ أيام طفولته حيث كان خاضعا لتربية قرآنية دينية.

www.SID.ir

Archive of SID

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. الإمام علي ابن أبي طالب، **شرح غررالحكم و دررالحكم آمدي**. با مقدمه و تصحيح مير جلال الدين حسيني، تهران: انتشارات دانشگاه تهران، ١٣٦٦ش.
٣. الإمام علي بن أبي طالب. **نهج البلاغه**. به قلم سيدعلي نقي فيض الإسلام، تهران: ١٣٥١ش.
٤. البارودي، محمود سامي. **الديوان**، القاهرة: دار الكتب، ١٩٤٠.
٥. النبي محمد (ص). **نهج الفصاحة**. ترجمه ونگارش علي اكبر مظاهري، تهران: پارسيان، ١٣٨٨ش.
٦. جابر (شبانة)، ناصر. **التناص القرآني في الشعر العماني الحديث**. عمان: مجلة جامعة النجاح للأبحاث، ج٢١، ٢٠٠٧.
٧. الدسوقي، عمر. **في الأدب الحديث**. الطبعة الثامنة. دمشق: دار الفكر، ١٩٦٦.
٨. الدمشقي، أبو زكريا يحيى بن شرف. **رياض الصالحين**. ترجمه وشرح عبدالله خاموشي هروي، چاپ دوم. تهران: نشر احسان، ١٣٧٣ش.
٩. ري شهري، محمد. **ميزان الحكمة**. ترجمه حميد رضا شيخي، چاپ اول. تهران: دار الحديث، ١٣٧٧ش.
١٠. ضيف، شوقي. **الأدب العربي المعاصر في مصر**. الطبعة الثانية عشرة. القاهرة: دار المعارف، ١٩٦١.
١١. عويضه، محمد. **محمود سامي البارودي إمام الشعراء في العصر الحديث**. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤.
١٢. الكليني، أبو جعفر محمد. **أصول الكافي**، طهران: انتشارات علمي اسلامي، [د.ت].
١٣. محمد فارس سليمان، عبدالمنعم. **مظاهر التناص الديني في شعر أحمد مطر**. نابلس: جامعة النجاح الوطني، ٢٠٠٥.
١٤. مصطفى محمد، محمد. **الفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم**. الطبعة الرابعة. بيروت: دار الجيل، ١٩٨٩.

www.SID.ir